قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية
مجلة البحوث والدراسات الاسلامية
الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

أثر السياق القرآني عند الشيخ عبد القادر بن ملا حويش في ضوء تفسيره (بيان المعاني)

The impact of the Quranic context on Sheikh Abdul Qadir bin Mulla Huwaish in light of his interpretation (Bayan al-Ma'ani)

م.د حمادي علي حمادي الزهيري/جامعة ديالى – كلية العلوم الإسلامية*

Keywords

Mulla Huwaish, context, Bayan al-Ma'ani

Abstract

This research paper seeks to examine one of the fundamental principles of Quranic interpretation, namely the Quranic context, and its application through the interpretation of Sheikh Abdul Qadir bin Mulla Huwaish's "Bayan al-Ma'ani." In the first section, the researcher defines the terms in the title, and in the second section, he highlights the Sheikh's efforts in the Quranic context through diverse theoretical and applied studies spanning several areas of Quranic scholarship. This includes its impact on revealing contextual relationships, its influence in guiding various readings, its role in determining the preferred rationale for revelation, its impact on interpreting ambiguities, and its influence on linguistic and rhetorical aspects. The paper concludes that "Bayan al-Ma'ani" is an important model in its attention to Quranic context, reflecting Sheikh Abdul Qadir's methodological awareness and thoroughness in interpretation.

معلومات المقال

تاريخ المقال:
الإرسال:
المراجعة:
القبول: ٢٠٢٦/٦/١م
الكلمات المفتاحية:
ملا حويش، السياق، بيان المعاني.

ملخص

هذه الورقة البحثية هي محاولة لدراسة أصل من أصول التفسير ألا وهو السياق القرآني، وتطبيقه عن طريق تفسير (بيان المعاني) للشيخ عبد القادر بن ملا حويش.

مهد الباحث في المبحث الأول التعريف بمفردات العنوان وفي الثاني إبراز جهود الشيخ في السياق القرآني عن طريق دراسة تنظيرية تطبيقية متعددة شملت بعضًا من مباحث علوم القرآن وهي أثره في إظهار المناسبات، وأثره في توجيه القراءات، وأثره في ترجيح بعض أسباب النزول، وأثره في توجيه المتشابه اللفظي، وأثره فيما يتعلق بالنواحي اللغوية والبلاغية.

وخلصت هذه الورقة البحثية إلى أن تفسير بيان المعاني يمثل نموذجًا هامًا في العناية بالسياق القرآني، مما يعكس ذلك وعي الشيخ عبد القادر المنهجي ودقته في التفسير.

* Corresponding author at Dr. Hammadi Ali Hammadi al-Zuhairi/University of Diyala - College of Islamic Sciences

dr.himadiali@uodiyala.edu.iq

١. المقدمة

الحمد لله الذي جعل كلامه متناسقًا متسقًا في نظمه وسياقه فتجلّت لنا دلائل ومعان وعظات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين وأتباعه وأحبابه ومن سار على نهجه الى يوم الدين.

أما بعدُ:

فمما شك فيه أن كتاب الله يشكل بآياته وسوره وحدةً موضوعية معجزة وهادفة، ويكمُن إعجازُه بتتبع دلالات الفاظه وتراكيبها، واستعمالاتها معتمدة على وظائف عدة كالمناسبة بين آياته وسوره وطريقة نظمه ووجوه القراءات وعللها وعلم الوجوه والنظائر وباقي العلوم التي يعتمد التفسير عليها ولا يكتشف سر ذلك البيان كله إلا عن طريق النظر والتأمل في دائرة السياق القرآني باحثًا في ثنايا أول النصوص وتتبعها.

ودراسة السياق القرآني في حقيقته إعمال لأمر التدبر للقرآن، لذا خاض العلماء في مضمار ذلك لنيل الهداية والمثوبة، وممن اعتنى بهذا الموضوع الشيخ عبد القادر بن ملا حويش في تفسيره (بيان المعاني) ولما اطلعت على هذا السفر الرصين، ودرسته دراسة وافية اتضح لي أن الشيخ عبد القادر أثرى موضوع السياق في تفسيره، فوجدت فيه مادة علمية صالحة للبحث والدراسة، قد عنونته بـ(أثر السياق القرآني عند الشيخ عبد القادر بن ملا حويش في ضوء تفسيره بيان المعاني)، وهو ما يمثله هذا البحث، وذلك وفق دراسة نظرية تطبيقية، إذ إن الشيخ عبد القادر من أبرز من اعتمد على السياق في موضوعات متعددة في تفسيره، فلله الحمد أولًا وآخرًا على فضله وتوفيقه.

أسباب اختيار الموضوع:

لا يخفى على أحدٍ أن الدراسات مهما كان نوعها؛ فإن أهميتها إنما تتوقف على ما تقدمه من فائدة للناس في حياتهم الدينية والدنيوية، والبحث الذي يكون بمعزل عن ذلك؛ فإنما هو مضيعة للوقت والجهد، لذا؛ فإني اخترت هذا الموضوع للأسباب الآتية:

١. لم اجد من أفرد هذا الموضوع بدراسة مستقلة، لذلك عزمت على دراسته.
٢. المكانة العلمية لكتاب (بيان المعاني) الذي يعد أول التفاسير المرتبة وفق ترتيب النزول.
٣. اعتناء الشيخ عبد القادر بالسياق القرآني ونظرته إليه نظرة فاحصة بما يميز به بين المعاني في تفسير الآيات القرآنية.

١.١.أهداف البحث:

تهدف هذه الورقة البحثية لتحقق عدة أمور، من أهمها:

١. ابتغاء مرضاة الله تعالى أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من البحث.
٢. تنمية مهارات الباحث وملكته في الاستنباط والاختيار من الآيات القرآنية المتعلقة بقضايا السياق القرآني، والبناء الجيد لشخصيته، عن طريق دراسة هذا الموضوع.
٣. الكشف عن أثر السياق القرآني عند الشيخ عبد القادر بن ملا حويش وبيان مدى عنايته وإبداعه به.

٢.١.أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من أن السياق القرآني من أهم الموضوعات وأكثرها شيوعًا في العصر الحديث، إلا أنها لم تبرز دور جميع المفسرين المحدثين في تناولها ومن هنا جاءت الفكرة بدراسة الموضوع عند الشيخ عبد القادر بن ملا حويش في ضوء تفسيره (بيان المعاني).

سؤال الدراسة:

حاول هذا البحث للإجابة عن السؤال الرئيس الذي مفاده الآتي:

-ما أثر السياق القرآني الذي يمكن استنباطه من كتب التفسير؟

– وستتم الاجابة عن هذا السؤال في المبحث الثاني ومطالبه المختلفة.

حدود البحث:

حُدَّ هذا البحث بتفسير (بيان المعاني) للشيخ عبد القادر بن ملا حويش.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي باعتباره الأنسب لمثل هذه الدراسات، والمنهج الاستقرائي؛ بتتبع أثر السياق في تفسير الشيخ عبد القادر ومدى اهتمامه به، وسرت في ذلك على ضوابط البحث العلمي الأكاديمي المتعارف عليها.

الصعوبات:

واجهتني في بحثي هذا بعض الصعوبات، منها: كثرة الأخطاء المطبعية التي وردت في التفسير، وعدم توافر الكتاب مطبوع ورقيًا، وتكرار العبارات راجع سورة كذا والآية كذا، وقد تجاوزت ذلك بفضل الله تعالى.

خطة البحث:

قسمت بحثي إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وتحت كل مبحث مطالب، وضمَّنت المطالب إلى نقاط، وحاولت أن يكون تقسيمي متوازناً وموضوعيًا حسب مقتضيات البحث العلمي.

أما المقدمة فهي تحوي عناصر ستة وهي: (أسباب اختيار الموضوع، أهداف البحث، أهمية البحث، سؤال الدراسة، حدود البحث، منهج البحث، الصعوبات، وخطة البحث).

وبعد المقدمة تأتي المبحثين متبوعة بخاتمة وما تحويه من نتائج وتوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع.

أما خطة المباحث والمطالب فهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: بين يديّ العنوان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالسياق وبيان مظاهر عناية العلماء فيه.

المطلب الثاني: التعريف بحياة الشيخ عبد القادر بن ملا حويش الشخصية.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني عند الشيخ عبد القادر بن ملا حويش في ضوء تفسيره بيان المعاني، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في اظهار المناسبة بين آيات القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أثر السياق في توجيه القراءات القرآنية.

المطلب الثالث: أثر السياق في ترجيح بعض أسباب النزول:

المطلب الرابع: أثر السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي.

المطلب الخامس: أثر السياق فيما يتعلق بالنواحي اللغوية والبلاغية.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مصادر مختلفة، منها كتب التفسير وعلوم القرآن واللغة وغيرها.

ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة التي تحتوي على أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذه الدراسة في مباحثها المختلفة، ثم تعقب ذلك كلّه قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها في الدراسة هذا الموضوع.

أخيرًا وليس آخرًا أودُّ البَوْح بكلماتٍ طالما اكتظَّ بها صدري وفاءً وعرفانًا، وأولى هذه الكلمات دعوات ضارعات إلى ربِّ البريات أن يجعل عملي هذا امتدادًا لغراس والديَّ (حفظهما الله تعالى) اللَّذَين ما فَتِئَا صابرَين داعِيَين الله أن يكتب التوفيق لي ولبحثي.

وختامًا فقد بدى واضحًا اهتمام الشيخ عبد القادر بن ملا حويش بأثر السياق القرآني وبانت أساليبه في تضمينه والاعتناء به.... والله تعالى أسأل أن يتقبل عملنا هذا بقبولٍ حسن، وينبته نباتًا حسنًا، ويمنحنا مواهب التحقيق، ويقطع عنا موانع التوفيق، ويجعله لوجهه الكريم خالصًا؛ إنه على كل شيء قدير.

٢.المبحث الأول: بين يدي العنوان، وفيه مطلبان:

٢.١.المطلب الأول: التعريف بالسياق وبيان مظاهر عناية العلماء فيه.

وسيتم الكلام عن ذلك وفق الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: تعريف السياق لغةً واصطلاحًا:

تعريف السياق في اللغةِ: يطلق السياق في اللغة على معانٍ، منها:

١. المتابعة، ومنه قول الفيروز آبادي: "تَساوَقَتِ الإِبِلُ: تَتَابَعَتْ وتَقاوَدَتْ"(١)، و "سِيَاق الْكَلَام تتابعه وأسلوبه الَّذِي يجْرِي عَلَيْهِ"(٢).

٢. السرد، ومنه قولهم: "ساقَ الحديثَ: سردَه، أورده بسهولة وسلاسة"(٣).

٣. حدو الشيء، "يقال ساقه يسوقه سوقا. والسيقة: ما استيق من الدواب. ويقال سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته. والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها"(٤).

بالنظر في كلام اللغويين السابق، يظهر لنا أن استعمال العرب لكلمة السياق يدور على عدة معانٍ: فيأتي بمعنى المتابعة، والسرد، وحدو الشيء وأقرب هذهِ المعاني اللغوية إلى المعنى الاصطلاحي هو بمعنى المتابعة: اي تتابع الاشياء واتصالها في وحدة متماسكة تخدم هدفًا واحدًا.

تعريف السياق اصطلاحًا:

المقصود من السياق أو المعنى الاصطلاحي له لم يتحدَّث عنه المتقدِّمون على الرغم من عنايتهم به في مؤلفاتهم وإنما تحدَّث عنه عدد من العلماء والباحثين المعاصرين، ولعلنا نجتزئ في هذا المقام بأشمل تعريفاته وهو ما قاله بعض الباحثين بأنه: "الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولًا عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع"(٥).

---

(١) القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م: ص: ٨٩٦.

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة: ٤٦٥/١.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م: ٢/ ١١٣٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م: ١١٧/٣، مادة (سوق).

(٥) دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى (عليه السلام): فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي،

أما عن الشيخ عبد القادر بن ملا حويش (رحمه الله تعالى) فلم نجد له تعريفا واضحا وصريحا للسياق، وان كان من حيث المضمون حاضرا في تفسيره وهذا ليس سكوتاً منه عن ذلك، وقد يكون السبب أنه اكتفى ببيان جهوده وتطبيقاته بتفسيره الآيات الكريمة أو لوضوح ذلك عنده.. والله تعالى أعلى وأعلم.

الفرع الثاني: مظاهر عناية العلماء بالسياق القرآني:

تتجلّى عناية العلماء بالسياق القرآني في جعلِه أصلًا من الأصول المعتمدة عند اشتباه المعاني، وقد طبّق الصحابة الكرام هذا الأصل في فهمهم للقرآن الكريم، ومن أبرز الشواهد على ذلك ما رُوي عن عمر بن دينار (رحمه الله تعالى) إذ قال: "سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول بأذني هاتين وأشار بيده إلى أذنيه: "يخرج الله قوما من النار فيدخلهم الجنة"، فقال له رجل في حديث عمرو إن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾[1]، فقال جابر بن عبد الله: إنكم تجعلون الخاص عاما هذه للكفار اقرؤوا ما قبلها ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، هذه للكفار"[3].

وسار التابعون (رحمهم الله تعالى) على نهج الصحابة في عنايتهم بالسياق عند تفسير القرآن ويتجلى هذا المنهج بوضوح فيما قرّره مسلم بن يسار البصري (رحمه الله تعالى) بقوله: "إذا حدثت عن الله حديثا فَقِفْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ"[4].

ثم مضى العلماء من بعدهم على هذا النهج في مراعاة السياق القرآني، ويتضح ذلك فيما نُقل عن وَهْبِ بن منبه، قَالَ: :"قَالَ مَالِكٌ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾[5] قَالَ: رَاكِبًا وَمَاشِيًا، وَلَوْ كَانَتِ إِنَّمَا عُنِيَ بِهَا النَّاسُ، لَمْ يَأْتِ إِلَّا رِجَالًا وَانْقَطَعَتِ الْأَلِفُ إِنَّمَا هِيَ رِجَالٌ مُشَاةٌ. وَعَنْ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾[6] قَالَ: يَأْتُونَ مُشَاةً وَرُكْبَانًا"[7].

ويتجلّى اعتبار السياق عند الطبري (رحمه الله تعالى) في قوله: "فتوجيه الكلام إلى ما كان نظيرًا لما في

رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م: ص: ٢٦- ٢٧.

(١) سورة المائدة، من الآية: ٣٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٦.

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م: كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، باب صفة النار وأهلها: ١٦/ ٥٢٦، برقم (٧٤٨٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون –بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ: ١٤/١.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٩.

(٦) سورة الحج، من الآية: ٢٧.

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م: ٣٩٢/٤.

سياق الآية، أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلا عنه"[١].

ومن مظاهر عناية العلماء بالسياق جعلُه من المرجِّحات بين الأقوال، كما قرر ذلك ابن جزي بقوله: "أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده"[٢].

كما أكّد الزركشي على قوة دلالة السياق وأثرها في ضبط المعنى، فقال: "دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته"[٣].

وبيّن وليّ الدين الدهلوي ضرورة استحضار السياق عند تفسير الألفاظ، إذ قال: "لابد للمفسر العادل أن ينظر إلى شرح الغريب نظرتين ويزنه وزناً علمياً مرتين، مرة في استعمالات العرب حتى يعرف أي وجه من وجوهها أقوى وأرجح، ومرة ثانية في مناسبة السابق واللاحق بعد إحكام مقدمات هذا العلم وتتبع موارد الاستعمال والفحص عن الآثار حتى يعلم أي صورة من صورها أولى وأنسب"[٤]

أما عن قولُ الشيخ عبد القادر بن ملا حويش والذي نحن بصدد معرفته، فهو خلاصةٌ لما قرّره العلماء قبله في شأن مراعاة السياق وأثره في التفسير، ويظهر ذلك في قوله :"اعلم وفقك الله أن أحوال المفسرين في التفسير مختلفة على ثلاثة أصناف: فمنهم من يقتصر في تفسيره على المنقول في الآية .... ومنهم من يأخذ في وجوه الاستنباط منها، ويستعمل فكره بما آتاه الله من الفهم، .... ومنهم من يرى الجمع بين الأمرين والتحلي بالوصفين. وبما ان هذا أحسن الأصناف جريت عليه، واقتفيت أثر من مشى عليه إلا أني قد اجتنبت التوسع الممل والاختصار المحل، إذ إن في الإطناب افراطا، وفي الإيجاز تفريطا، وكلاهما منتقد. على أني إن شاء الله سآخذ مما عليه الجمهور الموافق للنظم، والمطابق للسياق والمضاهي للسباق"[٥].

ويُفهم من كلام الشيخ عبد القادر أن مراعاة النظم والسياق تمثل عنده ضابطًا أساسيًا في اختيار القول التفسيري، ضمن منهج يجمع بين الرواية والدراية دون إفراط أو تفريط.

وبعد فهذه هي جملة الأقوال والآراء التي ذكرها العلماء في العناية بالسياق القرآني.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥/ ١١٨.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ: ١٩/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م: ٢/ ٢٠٠.

(٤) الفوز الكبير في أصول التفسير: أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦هـ) عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، دار الصحوة – القاهرة، الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م: ص: ١٨٢.

(٥) بيان المعاني بيان المعاني: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي –دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م: ١/ ١٠.

٢.٢.المطلب الثاني: التعريف بحياة الشيخ عبد القادر الشخصية.

اسمه: السيد عبد القادر بن السيد محمد ملا حويش بن السيد محمود بن السيد خضر آل غازي العاني[١].

ولادته: ولد الشيخ عبد القادر سنة (١٢٩٨ هـ) ثمان وتسعين ومائتين وألف، في مدينة عنه[٢] بالعراق[٣].

نشأته: نشأ الشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) وترعرع في دار والده في بيت علم وتدين وزهد، فوالده (رحمه الله تعالى) كان من المهتمين بدراسة العلوم الشرعية حتى أصبح فقيهًا بليغًا ما لبثت الأيام حتى أصبح من أبرز العلماء المشهورين في بلاد الشام[٤].

مؤلفاته: للشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) "كتب كثيرة، لم يطبع منها سوى تفسيره الرائد في مجاله، فقد قام بتفسير القرآن الكريم حسب نزوله، وقد طبعه على نفقته، وصرف عليه أموالا، ووزعه مجانا. وهو بعنوان «تفسير القرآن العظيم المسمى بيان المعاني على حسب ترتيب النزول»"[٥]

وفاتهُ: بعد حياة علمية حافلة قضاها في التعلم والتعليم، توفى الشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) ظهيرة يوم الأربعاء الموافق (٢٢ من شباط سنة ١٩٧٨م)، الموافق (١٤ ربيع الأول ١٣٩٨هـ) بدير الزور ودفن فيها في جنازة لم يشهد لها مثيل في المدينة[٦].

٣.المبحث الثاني: أثر السياق القرآني عند الشيخ عبد القادر بن ملا حويش في ضوء تفسيره بيان المعاني، وفيه اربعة مطالب:

١.٣.المطلب الأول: اثر السياق القرآني في اظهار المناسبة بين آيات القرآن الكريم.

مما لا شك فيه أن أجلّ العلوم قدرًا ما اتصل بكتاب الله سبحانه تعالى ضبطًا، وتفسيرًا، وبيانًا، ومن أعظمها منزلة تلك التي تعين على فهم القرآن الكريم، ومعرفة أسرار ترتيب آياته وسوره، وتبحث في أوجه إعجازه وبيانه، ومن تلك العلوم علم المناسبات الذي يعد نوعًا من أنواع نظم القرآن الكريم وإعجازه، وقد أولاه المفسرون قديمًا وحديثًا عناية فائقة، ومن العلماء الذين لهم اهتمام بهذا العلم الشيخ عبد القادر بن ملا حويش (رحمه الله تعالى) في تفسيره (بيان المعاني) وقبل الولوج في معرفة جهوده في هذا الموضوع لا بدّ لنا

---

(١) يُنظر: تَكملَة مُعجم المُؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ – ١٤١٥ هـ): محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م: ص: ٦٩٩.

(٢) عنة: بلدة مشهورة بالعراق في محافظة الانبار تقع على ضفة الفرات. ينظر: معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م: ٤/ ٧٢.

(٣) يُنظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»: جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م: ١٢٣٧/٢.

(٤) يُنظر: اللؤلؤ المنضود في نسب السيد محمود: السيد الحاج سعد السيد عبد اللطيف السيد حسين آل غازي، تحقيق: السيد محمود السيد سعيد السيد اللطيف آل غازي الرفاعي الموسوي الحسيني، دار المطبوعات للنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٣م: ص: ١٢٦.

(٥) تتمة الأعلام للزركلي [وفيات (١٣٩٦ – ١٤١٥ هـ)، يليه يليه المستدرك الأول والثاني]، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ ه: ٦٣/٣.

(٦) يُنظر: اللؤلؤ المنضود في نسب السيد محمود: ١٥٤.

أن نُعرِّف المناسبات التي قال عنها الدكتور منّاع القطان: "هي بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أوبين السورة والسورة[١].

وقبل أن نذكر جهود الشيخ في هذا الموضوع نتمهل قليلًا لِننوه بأنه (رحمه الله تعالى) لم يعرِّف علم المناسبات في تفسيره وإن كان قد أكثر من ذكر هذا الموضوع في تفسيره، ولعلّ سبب تجاوزه للتعريف لوضوح ذلك عنده... والله تعالى أعلى وأعلم.

أما عن جهوده فمن التتبع والاستقراء في تفسيره (بيان المعاني)، يمكننا تقسيم أثر السياق القرآني في إظهار المناسبة إلى نوعين رئيسين، وكل قسم من هذه الأقسام تندرج تحته صور وأمثلة وهي:

النوع الأول: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة في الآية الواحدة:

الصورة الأولى: اثر السياق القرآني في إبراز المناسبة في اختيار الكلمة في الآية.

إن كل كلمة في الآية القرآنية متناسبة مع الكلمات المجاورة لها، وملائمة للسياق الواردة فيه، يقول ابن عطية (رحمه الله تعالى): "كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[٢].

والأمثلة التطبيقية على هذه الصورة أكثر من أن تنحصر في الكتاب العزيز، ولكن سنقتصر على مثال توضيحي واحد، فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[٣]، يقول الشيخ: "بين يدي الله في الموقف العظيم فيحاسب على ما أصابه في الدنيا، كيف جمعه، وفيم أنفقه، ولم أبقاه ولم يؤد حقه، ثم يقذف في النار، وحينئذ يندم ولات ساعة مندم، ويريد الفرار ولات حين فرار، ولهذا جاء لفظ المحضرين في خاتمة هذه الآية ..... لدلالتها على هذا المعنى، ويكون الإحضار في ذلك الموقف لأجل مناقشة الحساب وترتيب العقاب"[٤].

فورود كلمة (محضرين) في هذا السياق مناسب جدًا، ففيه تقريع لهم بما يتناسب مع مشهد الندم وانتفاء إمكان الفرار، فكان الإحضار لأجل مناقشة الحساب وترتيب العقاب، فجاءت الكلمة أبلغ في الدلالة وأشدّ اتساقًا مع سياق الوعيد والتوبيخ.

الصورة الثانية: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة خاتمة الآية لسياقها:

مما لا شك فيه أن الآية القرآنية تُختم وتُذيل بما يناسب سياقها، وفي هذا الباب يقول الزركشي: "اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا وإلا خرج بعض الكلام عن بعض"[٥].

---

(١) يُنظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م: ص: ٩٦، ومباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: ص: ٥٨.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ: ٥٢/١.

(٣) سورة القصص، من الآية: ٦١.

(٤) بيان المعاني: ٢/ ٣٨٩.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٧٨.

وقد اخذ الشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) بهذا الامر، ومن النماذج التطبيقية له في هذا الباب قال (رحمه الله تعالى) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[١]، "«الْحَمِيدُ» المستحق الحمد بإنعامه عليكم، فاحمدوه واشكروه وحسن ذكر الحميد بعد الغنى لمناسبة ذكره بعد الفقر إذ الغنيّ لا ينفع الفقير إلا إذا كان جوادا منعما، وهو كالتكميل لما قبله"[٢].

يتضح مما سبق من كلام الشيخ عبد القادر أن اسم «الْحَمِيدُ» لم يَرِدْ بمعزل عن السياق، بل جاء مكملًا له؛ إذ لما ذُكر الغنى بعد الفقر، اقتضى السياق الإشارة إلى أن الغنى النافع هو المقترن بالجود والإنعام، وهو ما يستوجب الحمد، فكان ذكر الحميد بمثابة التأكيد على معنى الإنعام، وربطًا بين القدرة على الإغناء واستحقاق الحمد، مما يُبرز دقة اختيار الاسم الإلهي في هذا الموضع وتوافقه مع السياق العام للآية.

النوع الثاني: أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين الآيات المتجاورة.

كما أن للسياق القرآني أثر في إظهار المناسبة في الآية الواحدة، فإن له أثرا في إظهار المناسبة بين الآيات المتجاورة، وسيتم ذكر أمثلة على ذلك من تفسير الشيخ عبد القادر بن ملا حويش في الصور الآتية:

الصورة الأولى: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة الآية للآية المجاورة لها:

للشيخ عبد القادر جهود كبيرة وعناية فائقة بإبراز التناسب بين الآيات المتتابعة بتأمله وتدبره للسياق، وحتى تبرز مصداقية ما ذكرنا نستدل ببعض الأمثلة الشاهدة على ذلك:

قال الشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٣]، "ولما ذكر العبادة التي هي من أعمال الجوارح اتبعها بما هو من أعمال القلوب وهو الإيمان فقال جل قوله «وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ» أي ذاتك كلها، وهذه عطف على أن أكون «لِلدِّينِ حَنِيفاً» مائلا عن كل أباطيلهم وهي حال مؤكدة من الوجه لأن إقامة الوجه تضمنت التوجه إلى الحق والاعراض عن الباطل بكلية الإنسان من إطلاق الجزء على الكل «وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » في الاعتقاد والأعمال"[٤].

فيتضح من كلام الشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) أن ترتيب الجمل في الآية متناسب مع السياق؛ إذ لما ذُكرت العبادة الظاهرة التي هي من أعمال الجوارح، أُتبع ذلك بما هو أعمق وأصل لها، وهو عمل القلب المُتمثل في الإيمان والتوحيد، لذا جاء الأمر بإقامة الوجه للدين تعبيرًا عن توجّه الذات بكاملها نحو الحق، على سبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل، ثم عُطف عليه النهي عن الشرك تأكيدًا لمعنى الحنيفية، وتكميلًا لغاية الإخلاص ظاهرًا وباطنًا، وهكذا يظهر انسجام الجمل في سياق واحد متدرج، ينتقل من الظاهر إلى الباطن، ومن الإثبات إلى النفي، بطريقة تحقق كمال العبودية وتبرز قواعد النظم القرآني.

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.

(٢) بيان المعاني: ٢/ ١٢١.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠٤.

(٤) بيان المعاني: ٣/ ٨٦.

اما تناسب السياق بين الآية وسابقتها فمن أمثلة ذلك عند تفسير الشيخ لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴾[١]، يقول: "وجه مناسبة هذه الآية مع ما قبلها أن المشركين المشار إليهم أعلاء لما اقترحوا على حضرة الرسول طلب الينبوع والأنهار كان لتكثير أرزاقهم واتساع الدنيا عليهم من وجه وتعجيزا للرسول من وجه آخر ..... فبين الله تعالى في هذه الآية أنهم لو أعطوا ذلك وملكوا خزائن الأرض ومفاتح رحمة الله لبخلوا وشحوا ولم ينفعوا أحدا، وهذا غاية في التشنيع عليهم بالبخل، وأنه كما وصفهم بالآية الأولى بأنهم منكبون على الكفر، وصفهم في هذه أنهم أيضا متلبسون بالشح، وهما صفتان مذمومتان ضرر أولاهما قاصر عليهم، وضرر الأخرى متعد للغير"[٢].

فيظهر من كلام الشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) أن الآية جاءت مناسبة لما قبلها في سياق كشف حقيقة المشركين؛ فبعد ذكر تعنتهم وطلبهم ما قصدوا به تكثير الدنيا وتعجيز الرسول، كشف السياق حقيقتهم النفسية والأخلاقية، مبيّناً أن الغنى لا يصلحهم ولا يحملهم على الإحسان، بل يزيدهم بخلًا وشحًّا، وبهذا ينتظم السياق في بيان أن علّة كفرهم ليست في طلب الدنيا فقط، بل هو امتداد لفساد عقيدتهم وسوء أخلاقهم، وهذا يتضح من تدبر سياق الآيتين ثم النظر في وجه الربط المناسب.

الصورة الثانية: أثر السياق القرآني في إبراز مناسبة المقطع للمقطع المجاور له.

إن المقاطع المتجاورة ترتبط بروابط ووشائج متناسبة بما يحقق الغرض العام للسورة، وإن السياق القرآني له أثر عميق في الكشف عن الرابط المناسب بين هذه الاجزاء.

ومن تطبيقات الشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) في هذا الباب، قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣]، "﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ أيها الناس هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ ﴾[٤] من عطف القصة على القصة، لأن الأولى مسوقة لإثبات النبوة وهذه لإثبات الوحدانية، وفيها انتقال عن زجرهم عما يعاملون به رسولهم إلى زجرهم عن معاملتهم ربهم، إذ يكتمون وحدانيته ويقولون عزيز والمسيح ابنا الله كما يقول فريق من العرب الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾"[٥].

يُظهر هذا التوجيه بصيرة الشيخ في ربط الآيات بسياقها العام، فهو يوضح أن الانتقال من الحديث عن إخفاء الحق المتعلّق بالنبوة إلى تقرير وحدانية الله انتقال مقصود يخدم الغرض العقدي للسياق. فالآيات لا تعرض قضايا متفرقة، بل تبني حُجّة متكاملة تكشف انحرافهم في أصلَي الدين: الرسالة والتوحيد. وبهذا يتأكد أن السياق القرآني عند الشيخ قائم على التدرّج والانتقال المنسجم بين المعاني، لا على مجرد سرد الأحكام، مما يعكس وحدة البناء الموضوعي في الآيات وتماسكها الدلالي.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٠.

(٢) بيان المعاني: ٢/ ٥٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ١٥٩.

(٥) بيان المعاني: ٥/ ١١٠.

ومع ما ذكرناه من أمثلة من جهود الشيخ في هذا الموضوع تبين بكل وضوح أن الشيخ عبد القادر بن ملا حويش يعتني بالسياق الداخلي والخارجي للآيات، ويرى أن الجمل القرآنية مترابطة ترابطًا دلاليًا، بحيث تُفسّر إحداها الأخرى، ويُبرز هذا الترابط مناسبة دقيقة تُظهر إعجاز النظم القرآني، ولهذا الموضوع شواهد كثيرة في تفسير الشيخ عبد القادر ولا يسع المقام هنا لذكرها كلها، فقد تناولنا نماذج منها وهذا يغني عن ذكر الكثير.

٢.٣.المطلب الثاني: أثر السياق في توجيه القراءات القرآنية.

يحتل السياق أهمية كبيرة في تحديد دلالة الاختلاف الحاصل في تعدد القراءات القرآنية؛ وذلك من اجل التخفيف على الأمة الإسلامية وإرادة التيسير بها والتهوين عليها(١).

وإن المراد بأثر السياق في توجيه القراءات هو بيان المقصود من وجه القراءة ومعرفة الفرق بين القراءات المختلفة، كما قال ابن جني: "والقرآن يُتخير له ولا يتخير عليه"(٢).

وهذا الموضوع اعتمده كل من كتب في توجيه القراءات وتعليلها والاحتجاج لها والشيخ عبد القادر بن ملا حويش أحد العلماء الذين اعتمدوا على السياق في توجيه القراءات في تفسيره وكان ذلك من صنيعه التفسيري دون التصريح بالمصطلح، وقبل الولوج بذكر جهوده في ذلك لا بدّ لنا أن نعرّف القراءات في الاصطلاح ولعلنا نجتزئ بتعريف ابن الجزري لها حيث يقول: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"(٣)، وهذا أفضل التعاريف وأقربها للصواب للصواب وأجمعها وأشملها؛ لكونه جامعًا مانعًا شاملًا لهذا العلم.

أما عن جهود الشيخ عبد القادر في اثر السياق في توجيه القراءات فهي:

١.من مواضع اظهار أثر السياق على القراءات عند الشيخ عبد القادر في بناءً على الاختلاف في الحركات، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٤)، يقول الشيخ: "من قرأ عنده بالجر باعتبار من حرف جر أعاد الضّمير في عنده إلى الله تعالى، ويكون المراد بالكتاب اللّوح المحفوظ، وما جرينا عليه أولى وأنسب بالمقام"(٥).

فقد اختار الشيخ عبد القادر هنا توجيه القراءة بالجر بما يتناسب مع سياق الآية، إذ إنه رجَّح هذا الوجه لأن إحالة الضمير في «عنده» إلى الله عز وجل أكثر انسجامًا وابلغ في مقصود الآية، لأن السياق مسوق لإثبات العلم الإلهي الشامل، فناسبه حمل «الكتاب» على اللوح المحفوظ، لما في ذلك من تقرير ثبوت

---

(١) يُنظر: القراءات واثرها في التفسير والاحكام: محمد بن عمر بن سالم ابن بازمول، دار الهجرة، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ه- ١٩٩٦م: ١/١٨٠.

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م: ١/٥٣.

(٣) منجد المقرئين ومرشد الطالبين: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م: ص: ٩.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٥) بيان المعاني: ١/ ٢٤.

المعلوم واستقراره عند الله تعالى، وهو أوفق وأكثر انسجامًا بسياق الاستدلال من غيره من الأوجه، لذا فإن ترجيح القراءة الأولى للشيخ كانت بحسب منظوره السياقي.

٢.ومما ورد في ذلك تفسير الشيخ عبد القادر لقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[١]، ذكر الشيخ قراءتين لكلمة «يَصِدُّونَ» لكل منهما معناها الخاص إذ قال: "«يَصِدُّونَ» بكسر الصاد أي يضجّون وقرىء بضمها بمعنى يعرضون عنك ولا يلتفتون لقولك"[٢].

ثم عقّب الشيخ على ذلك القراءتين بذكر الراجحة منها مع بيان حجته في ذلك فقال: "والقراءة الأولى أولى وأنسب بالمقام، أي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا أو ضحكا مع إعراض وتمايل"[٣].

فنجد أنه (رحمه الله تعالى) رجّح القراءة الأولى بالكسر عن الاخرى بسبب السياق، فهو (رحمه الله تعالى) لمّا نظر إلى اختلاف القراءتين نتج عنه تغاير التوجيه لذلك أخذ بالأولى حسب سياقها فهو يرى أن المقام مقام استهزاء وسخرية، لا مجرّد إعراضٍ وتجاهل فقط، فناسبه ما يدلّ على رفع الصوت والضجيج المصاحب للضحك والاستخفاف، وفضلا عن ذلك فإن هذه القراءة تجمع بين المعنيين: إظهار الفرح والتهكّم بالفعل الصوتي، مع الإعراض الضمني والعدول عن الحق، بخلاف قراءة الضم التي تقتصر على معنى الإعراض والتجاهل دون تصويرٍ للمشهد الحركي والصوتي الذي يتطلبه السياق.

٣.ومن المواضع التي يستشعر الشيخ عبد القادر فيها فخامة الخطاب القرآني ودلالته على ترجيح القراءة، ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿.....وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٤]، قال الشيخ في كلمة كلمة (تعلمون): "قرئ بالتاء على أن الخطاب للمؤمنين وبالياء على طريق الالتفات للكافرين والأول أولى وأنسب بسياق السياق"[٥].

فالشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) ذهب إلى ترجيح القراءة الأولى أي (تعلمون)؛ لأنها أليق بسياق الآية، إذ إن الخطاب جارٍ على توجيه الأمر للمؤمنين فهو أظهر وأولى، أمّا القراءة الثانية وهي (يعلمون) بالياء فمحمولة على الالتفات، وهو وإن كان أسلوبًا معروفًا في العربية، إلا أن اللجوء إليه لا يكون إلا لنكتة بلاغية ظاهرة، وهي هنا غير متعينة بوضوح، لذا فإن القراءة بالتاء أنسب بسياق الكلام، وأوفق بمقتضى الخطاب، وأقرب إلى انتظام المعنى.. والله تعالى أعلى وأعلم.

٤.ومن اختيارات الشيخ عبد القادر بن ملا حويش للقراءة الأرجح بناءً على دلالة السياق التفسيري للآية، عند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦]، يقول: "خاطب (ﷺ) أصحابه الذين سألوه إنزال الآيات حبا بإيمان المشركين من قومهم بما أوحى الله به إليه ليرتدعوا عن ذلك لأنهم لا يعلمون أنهم يؤمنون بها إذا نزلت ولا يعلمون أنها إذا نزلت ولم يؤمنوا يحيق بهم الداب لذلك جاءت هذه الآية إخبارا بمعرض النهي وإنما لم ينزل الله عليهم ما اقترحوه لعلمه أن أيمانهم

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٧.
(٢) بيان المعاني: ٤/ ٧٧.
(٣) بيان المعاني: ٤/ ٧٧.
(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٦.
(٥) بيان المعاني: ٥/ ٤١٩.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.

فاجرة كاذبة وأن إيمانهم كلهم في زوايا العدم....."[١].

وبعد أن فسر الشيخ الآية راح ينظر في القراءات الواردة فيها، فرجح ما يعضده السياق القرآني والتفسيري للآية، قائلًا: "هذا التفسير على قراءة لا يؤمنون بالياء وهي الأوفق للمعنى والأحسن للسياق والأليق بالسياق، وأما على قراءة (لا تُؤْمِنُونَ) بالتاء الفوقية فيكون الخطاب للمشركين وقد مشى عليها بعض المفسرين والمعول على الأول لأن المؤمنين أحبوا نزول الآيات لما رأوا قومهم قد وثقوا الأيمان لحضرة الرسول بأنهم يؤمنون إذا نزلت طمعا بإيمانهم كما ذكرنا"[٢].

فالشيخ (رحمه الله تعالى) رجّح القراءة الأولى (لا يؤمنون) لأنها الأليق بمعنى الآية وأوفى بسياقها، إذ تأتي هذه القراءة في مقام الإخبار عن المشركين لا الخطاب المباشر لهم، كما تتفق مع موقف المؤمنين الذين رجوا نزول الآيات طمعًا في إيمان قومهم بعد توكيد الأيمان بحضرة النبي (ﷺ)، أما القراءة الثانية (لا تُؤْمِنُونَ) فتوجه الخطاب إلى المشركين، وهو ما لا يتوافق مع السياق العام للآية، لذلك اخذ الشيخ عبد القادر بالقراءة الأولى وهي القراءة بالياء لانسجامها مع سياق الحدث والآية ودلالتها الأعمق.

وهكذا نرى أن الشيخ عبد القادر رحمهُ الله تعالى أدرك مدى تعلق السياق في توجيه القراءات القرآنية، لذا فقد عرض هذا الموضوع في تفسيره بيان المعاني بطريقة تدل على رسوخ قدمه في هذا العلم.

وأخيراً وليس آخرًا وقبل أن نرفع قلمنا عن اثر السياق في توجيه القراءات عند الشيخ عبد القادر بن ملا حويش نقف قليًا لننوه أن المقصود في هذا المطلب ليس هو ترجيح قراءة على قراءة أخرى بل المقصود هو إبراز دور السياق في توجيه القراءات عند الشيخ عبد القادر بن ملا حويش وإبراز جهوده في ذلك.

٣.٣.المطلب الثالث: أثر السياق في ترجيح بعض أسباب النزول.

للسياق القرآني بالغ الأثر في تحديد سبب نزول السورة او الآية لأنه يكشف عن دوافع النص ومقاصده، هذا الأمر جعل المهتمين والحريصين بالدراسات الإسلامية ولا سيما التفسيرية يركزون عليه تركيزًا دقيقًا، وينصبون انتباههم اليه، وعنايتهم به عن طريق تضمينه في كتبهم ومصنفاتهم، لما له دور في إزالة الإشكال، ودفع التوهم، وتقييد المعاني العامة بما يتلاءم مع السبب الذي نزلت فيه الآية وقبل الولوج بذكر جهود الشيخ عبد القادر في ذلك نرى من المناسب أن نذكر تعريف سبب النزول ولعلّنا في هذا المقام نجتزئ بالتعريف المشهور والمختار الذي ذكره الشيخ مناع القطان بقوله: "هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال"[٣].

وبعد الدراسة المستفيضة لتفسير (بيان المعاني) وجدنا أن مؤلفه استخدم هذا الجانب واهتم بترجيح سبب نزول الآيات وفقًا للسياق القرآني، وهنا سنورد جملة من الآيات الحاضرة في تفسيره والتي ترسم لنا حجم جهوده بهذا الصدد، والتي دل السياق القرآني على صحة وعدم صحة ما قيل إنه سبب لنزولها:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٤]، يرى الشيخ عبد القادر أن

(١) بيان المعاني: ٣/ ٣٩١.

(٢) بيان المعاني: ٣/ ٣٩١.

(٣) مباحث في علوم القرآن: ص: ٧٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

نزول الآية جاء نتيجة لوجوب الاستماع المطلق، لا كما ذكره العلماء أن السبب المباشر وراء نزول الآية يتعلق بالاستماع بالصلاة فقط، وراح الشيخ عبد القادر يبين استناده في ذلك إلى السياق القرآني الذي يدل على هذا المعنى، وهذا يتضح بقوله: "وإن وجوب الاستماع هو سبب نزول هذه الآية لمناسبة السباق وموافقة السياق"(١).

وبعد أن بيَّن الشيخ موقفه اورد قولان في سبب نزول الآية قال: "قيل نزلت في تحريم الكلام في الصلاة إذ كانوا يتكلمون فيها فمنعوا، وقيل إنها نزلت في ترك الجهر خلف الإمام إذ كانوا يجهرون خلفه"(٢)، إلا أن الشيخ لم يرتضِ الأقوال المذكورة آنفًا وذهب إلى ردّها معللًا ذلك بأن: "هذه روايات وأقاويل بعيدة عن الثبوت ولا شيء يؤيدها"(٣).

والملاحظ هنا أن الشيخ عبد القادر أتى بقوله أولًا بصيغة الجزم والتي تفيد الترجيح ثم أعقب ذلك بالقولين الآخرين بصيغة التمريض التي تفيد ترجيح القول الأوَّل والذي اعتمد عليه من موافقته لسياق الآية.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٤)، نقل الشيخ عبد القادر روايةً بشأن نزول الآية تصل بسندها الى "سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه، فأعجبني، فجئت به رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقلت إن الله قد شفى صدري من المشركين، فهب لي هذا السيف، فقال ليس هذا لي ولا لك، اطرحه في القبض (أي مجمع الغنائم المسماة بالأنفال جمع نفل) فطرحته وفي ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سلبي، فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءني رسول الله صلّى الله عليه وسلم وقد أنزلت سورة الأنفال، فقال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه.... فنزلت ..... والرواية طويلة"(٥).

ويواصل الشيخ كلامه عن نزول الآية فينقل مرة أخرى رواية عن "ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: لما كان يوم بدر قال النبي صلّى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله كذا وكذا، فأما الشيخة فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقالت الشيخة للشبان أشركونا معكم فإنا كنا رداءً ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا، فاختصموا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فنزلت"(٦).

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ عبد القادر ساق في نزول الآية مجموعة من الروايات قد لا يسع هنا المقام لذكرها وتكفي الإشارة إلى وضوح أثر السياق القرآني عند الشيخ عبد القادر في رواية ابن عباس فقد وافقها وأيدها بسبب موافقتها لسياق الآية، فقال: "سياق الآية يوافق رواية ابن عباس والعمدة عليها لا على ما رواه سعد والحادثة وقعت بعد الرجوع من بدر ويؤكدها جمع الغنائم وجعلها في القبض ثم تقسيمها بمعرفة الرسول على المسلمين"(٧).

---

(١) بيان المعاني: ١/ ٤٧٩.

(٢) بيان المعاني: ١/ ٤٧٩.

(٣) بيان المعاني: ١/ ٤٧٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٥) بيان المعاني: ٥/ ٢٧١.

(٦) بيان المعاني: ٥/ ٢٧١.

(٧) بيان المعاني: ٥/ ٢٧٢.

وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[١]، يقول الشيخ عبد القادر: "نزلت هذه الآية حينما قال لهم حضرة الرسول وما يدريكم أن الملائكة إناث؟ قالوا سمعناه من آبائنا ونشهد أنهم لم يكذبوا، فوبخهم الله على ذلك وعلى قولهم «وَقالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ» أي الملائكة والأصنام"[٢].

وبعد أن ذكر الشيخ عبد القادر سبب نزول الآية علّق عليه بالقول: "والسياق يؤيد الأول إذ لم يسبق للأصنام ذكر"[٣].

إن ما ذهب إليه الشيخ عبد القادر أليق بالسياق وأجدر بالقبول لأن كلامهم حق أريد به باطل، فالله عز وجل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والله عز وجل خلق العباد فمنهم كافر ومنهم مؤمن فالإنسان لا يحتج بالقضاء والقدر على ما هو فيه من المعصية، وعليه فلا مناص إلاّ بترجيح ما ذهب إليه الشيخ عبد القادر بن ملا حويش.

ومن المواضع التي ذكر الشيخ عبد القادر فيها أن السياق يشير على عدم صحة ما قيل إنه سبب لنزول الآية، ما جاء في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[٤]، يقول الشيخ عبد القادر: "نزلت هذه الآية حين شكى المسلمون إيذاء الكافرين فأوحى الله إلى رسوله أن يأمر المؤمنين بعدم مكافأتهم على سفههم، وأن يقولوا لهم ما هو الخير"[٥].

فبعد أن ذكر الشيخ سبب نزول الآية نقل قولًا آخرَ حكاه بصيغة التمريض ولم يرتضِ به فقال: "وقيل نزلت في عمر بن الخطاب حين أمر بالعفو عمن شتمه، وسياق اللفظ يأباه"[٦].

فاستبعد الشيخ عبد القادر هذا القول وعلّق عليه قائلًا: "الآية عامة في جميع المؤمنين بأن يفعلوا الخلّة الحسنة من قول أو عمل بعضهم مع بعض ومع غيرهم، ولا تأخذهم وساوس الشيطان ودسائسه فيما يقع بينهم، ممّا يؤدي إلى الخصومة، وأن يتذكروا عداوته القديمة فيرفضوا نزغاته"[٧].

تعقيبًا على ما سبق يمكن القول أن من قال الآية نزلت في عمر بن الخطاب لا ينافي ما ذهب إليه الشيخ عبد القادر، لأنه أيًا كان سبب نزول الآية، فهو أمر للمسلمين بأن يقولوا التي أحسن في كل حال.. والله تعالى أعلى واعلم.

ومع ما ذكرناه في صدد أثر السياق في ترجيح بعض أسباب النزول عند الشيخ عبد القادر فإن الناظر في تفسيره بيان المعاني كثيرًا يلحظ اهتمام المؤلف بإبراز دور السياق في الترجيح الذي يزيد من قيمة الكتاب والجهود التي بذلها مما تجعله شافي للنفس شفاءً تاماً.

٤.٣.المطلب الرابع: أثر السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي.

إن للقرآن الكريم دقائق في أسلوبه البياني، فألفاظه وتراكيبه اختيرت بعناية للتناسب مع سياقها الواردة فيه، فقد تأتي بعض الآيات متحدة المعاني، متشابهة

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٩.
(٢) بيان المعاني: ٤/ ٦٦.
(٣) بيان المعاني: ٤/ ٦٦.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.
(٥) بيان المعاني: ٢/ ٥١٣.
(٦) بيان المعاني: ٢/ ٥١٣.
(٧) بيان المعاني: ٢/ ٥١٣.

المباني، كأن تأتي بواصل شتى، وأساليب مختلفة[١]، وقبل أن نورد جهود الشيخ في ذلك يجدر بنا في هذا المقام أن نورد ما ذكره العلماء في تعريفه ولعلنا نكتفي هنا بما ذكره الزركشي إذ قال: "هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكررا"[٢].

أما عن الشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) فهو تميَّز بتوظيفه للسياق في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فقد نص على لفظ السياق في كثير من المواطن التي كان يوجّه فيها هذا التشابه، ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك ما يأتي:

١. عند بيانه معنى (السريّ) في قول الله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[٣]، قال:" قال بعض المفسرين إن (سريا) جدول ماء جار هناك بمحل الولادة"[٤].

إلا أن الشيخ عبد القادر التفت إلى توجيهٍ آخر غير السابق فقال: "إلا أنه غير مراد هنا وأراه غير موافق للواقع أيضًا، إذ لا يوجد هناك في بيت لحم نهر جار البتة لا في محل الولادة ولا في غيرها، بل يوجد آبار ولعلها كانت قريبة التناول، وكانت عينّا معينا حتى إن محل الولادة لا يوجد فيه ربوة وإنها الآن ينزل إليها بدرج تحت الأرض .... وعلى هذا والله أعلم أنه لم يرد ذلك المعنى بالسريّ، وإنما معناه ما ذكرناه وهو الموافق للسياق والسباق"[٥].

فالشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) نظر إلى السياق واستخلص هذا التوجيه، الذي لا شك في قبوله وإرضائه، فإن قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، يتبعه مباشرةً قوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[٦]، فالسياق سياق تسليةٍ وتيسيرٍ عاجل، بذكر ما يدفع الحاجة المباشرة شراب يسير وطعام قريب، لا نهرًا بالمعنى الكبير المألوف.. هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

٢. عند بيانه معنى الكيل في قوله تعالى: ﴿۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾[٧]، يقول الشيخ: "والكيل "والكيل ثلاثة: واف وهو مأمور به، ومطفف وهو منهي عنه، وزائد وهو مسكوت عنه، فإن فعله فقد أحسن، وإلا فلا شيء عليه، وفي الآية دليل على الوفاء وهو لا يخلو من الزيادة، لأنه لا يكون إلا بالرجحان، فمن رجح الموزون على الوزن فقد

---

(١) يُنظر: درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: ص: ٥٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/ ١١٢، ويُنظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت: ص: ٨٤٥.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٤ .

(٤) بيان المعاني: ٢/ ١٤٧.

(٥) بيان المعاني: ٢/ ١٤٧.

(٦) سورة مريم، الآية: ٢٥.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ١٨١ .

أوفى به ﴿ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ﴾[١]، أي الميزان العدل أو القبان"[٢].

فالشيخ (رحمه الله تعالى) راح يبيّن في تقسيمه للكَيْل إن تشابه الألفاظ القرآنية في الظاهر لا يعني اتحاد دلالتها، إذ يحدّد السياق المراد منها، فالأمر بالوفاء في الكيل والميزان لا يقتصر على المساواة الحسابية، بل يتضمن الاحتياط والرجحان لرفع شبهة النقص.

٣. عند بيان معنى (فَرْشًا) في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[٣]، يقول الشيخ: "كالصوف والوبر والشعر لأن منه ما ينسج ويلبد ويدحي فيكون فراشا، وقيل مما لا يصلح للحمل كالغنم والمعز وصغار الإبل والبغال والخيل، وإنما سمي فرشا لدنوه من الأرض التي جعلها الله فراشا والأول أولى بالمقام وأنسب بالسياق"[٤].

ومما مضى تظهر حصافة ذهن الشيخ عبد القادر في رفع الاشتراك اللفظي للكلمات المتشابهة فهو يرى أن اللفظ (فَرْشًا) حتى وإن اشتملت معانيه على أشياء دانية أو غير قابلة للانتفاع المباشر، فإن السياق القرآني يُرجّح المعنى الأنسب للغرض المقصود، وهو ما يُصنع منه الفراش، وهذا يوضح أن فهم النص القرآني لا يكتفي بالمعنى الظاهر للكلمة، بل يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالغرض والسياق، وهو عين ما اعتمده الشيخ عبد القادر في نهجه في توجيه المتشابه اللفظي.

٤. عند بيانه لفظ (الأم) يقول الشيخ "له ثمان معان فمعناها في قولك نحن من أمة محمد صلّى الله عليه وسلم (الجماعة) وفي رجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[٥] (الرجل الفذ الجامع) وتأتي بمعنى الحين والزمان في قوله تعالى (إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وقوله (إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) وقوله (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) وتأتي بمعنى القامة يقال فلان حسن الأمة، وتأتي نعتا للرجل المنفرد بدين"[٦].

إلا أن الشيخ وجّه لفظ (الأمة) بمعنى الجماعة، ويظهر ذلك في تفسيره لقول الله تعالى: "«إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً» قال الشيخ: "لاجتماع صفات الكمال والخير فيه وتلبسه بالأخلاق الحميدة، وهذه الصفات قد لا توجد في شخص واحد ولهذا سماه الله أمة"[٧].

فالشيخ (رحمه الله تعالى) اختار اللفظ بدقة لأن (أمة) في هذا السياق تعني أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) كان مثالاً كاملاً لجميع الفضائل الأخلاقية والدينية التي تجسد الكمال البشري، وهذا اللفظ يناسب شخصيته العظيمة ويعكس مكانته الرفيعة، مما يعزز تميّز المعنى القرآني للآية في السياق الذي وردت فيه.

وبعد،، فإن موضوع أثر السياق في توجيه المتشابه اللفظي عند الشيخ عبد القادر بن ملا حويش موضوع رحب، والحديث فيه واسع فضفاض، ولو أردنا التوسع فيه لما وسعتنا عشرات الصفحات، ولكن حسبنا أن ذكرنا بعض التطبيقات المختارة من جهوده، وأن من أراد التوسع في هذا الموضوع فليطالع تفسير بيان

---

(١) سورة الشعراء، من الآية: ١٨٢ .

(٢) بيان المعاني: ٢/ ٢٨٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٢.

(٤) بيان المعاني: ٣/ ٤١٣.

(٥) سورة النحل، من الآية: ١٢٠.

(٦) بيان المعاني: ٢/ ٣٦٤.

(٧) بيان المعاني: ٤/ ٢٥٨.

المعاني، وسيرى إبداع الشيخ عبد القادر (رحمه الله تعالى) في هذا الموضوع.

٣.٥.المطلب الخامس: أثر السياق فيما يتعلق بالنواحي اللغوية والبلاغية.

يُعدّ السياق القرآني أحد أهمّ الأسس لفهم المعاني اللغوية والبلاغية للنص، لما له من أثر بالغ في تحديد المعنى وتوضيح أساليب التعبير، وقد أولى الشيخ عبد القادر بن ملا حويش اهتمامًا خاصًّا للسياق في تفسيره (بيان المعاني) جاعلًا إياه أداةً أساسيةً لتحديد مرجع الضمائر وشرح دلالات ترتيب الكلمات، وفقًا لبنية الآيات القرآنية ومقاصدها، مما يُبرز دقة منهجه وعمق فهمه البلاغي، وحتى تبرز مصداقية ما ذكرنا نستدل ببعض الأمثلة الشاهدة على ذلك وهي:

أولًا: أثر السياق في بيان مرجع الضمير:

استعان الشيخ عبد القادر بن ملا حويش بالسياق في تحديد مرجع الضمير وذلك في مواضع كثيرة من تفسيره، نذكر أبرزها:

١. عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾[١]، يقول الشيخ عبد القادر: "ما قيل إن الضمير في أنساه يعود إلى يوسف غير وجيه، لأن المعنى بصير حينئذ أن الشيطان أنسى يوسف ذكر الله بطلبه الفرج عنه من ملك مصر دونه، وهو محال لما فيه من التعريض إلى الغفلة، والأنبياء بعيدون عنها منزهون منها، لذلك اخترنا ما عليه جل المفسرين من عود الضمير إلى الساقي لأنه أولى وأنسب بالمقام وأوفق للسياق والله أعلم"[٢].

وكلام الشيخ في محله تمامًا، إذ إنه أشار أن الضمير في الآية يعود إلى الساقي وليس إلى يوسف (عليه السلام)، لأن عود الضمير إلى يوسف فيه ما يثير الإشكالات العقائدية من حيث التنزيه الكامل للأنبياء عن الغفلة، ولذلك الشيخ عبد القادر يتفق مع ما عليه جمهور المفسرين من أن الضمير يعود إلى الساقي هو الأكثر قوة وتماسكًا، ويعكس التوازن بين الدقة اللغوية والحفاظ على عصمة الأنبياء.

٢. في قول الله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾[٣]، يقول الشيخ عبد القادر: "إن عود الضمير في ناداها إلى السيد عيسى كما جرينا عليه أوفق وأنسب للمعنى من قول إنه يعود إلى جبريل، لأن نطقه حال ولادته من معجزاته التي جاوبها"[٤].

فقول الشيخ متجه من جهة مراعاة السياق؛ إذ إن عود الضمير إلى سيدنا عيسى (عليه السلام) ينسجم مع البناء القصصي في القرآن الكريم، حيث يتدرّج المشهد من ألم المخاض إلى ظهور الكرامة والمعجزة، فجعل النداء صادرًا من المولود نفسه يعمّق معنى التثبيت لمريم، ويمهّد مباشرةً لمعجزة كلامه في المهد، فيأتي الكلام متصلًا بعضه ببعض دون انقطاع في محور الحدث.

لذا فإن ترجيح الشيخ عبد القادر بن ملا حويش يستند إلى مراعاة وحدة السياق وبلاغة العرض، وليس على مجرد قاعدة لغوية في عود الضمائر، ومع ذلك يبقى القول بعود الضمير إلى جبريل قولًا معتبرًا عند عدد

(١) سورة يوسف، من الآية: ٤٢.

(٢) بيان المعاني: ٣/ ٢١٦.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٤.

(٤) بيان المعاني: ٢/ ١٤٨.

من المفسرين، خاصة؛ لأن جبريل هو المألوف في تبليغ الوحي والتثبيت.

٣.في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾[١] يقول الشيخ عبد القادر: "ما قيل ان الضمير في (ولّوا) يعود إلى الشياطين لا يصحّ، لعدم سبق ذكر لها بل يعود للمشركين السابق ذكرهم، فجعله يعود إلى غيرهم مخالف لسياق الكلام"[٢].

وهنا تعليق الشيخ عبد القادر في محلّه من جهة مراعاة السياق؛ لأن الأصل في الضمير يعود إلى أقرب مذكور، وهو هنا المشركون المذكورون قبلُ في كلام القرآن الكريم. أما صرفه إلى الشياطين مع عدم سبق ذكرٍ لهم في السياق فبعيد، وفيه مخالفة لظاهر سياق الآية بلا قرينة ظاهرة.

وممّا مضى تظهر عناية الشيخ عبد القادر بن ملا حويش بالسياق القرآني واستحضار انتظام الضمائر واتصال المعاني في القرآن الكريم، إذ لا يكتفي بمجرد الاحتمال اللغوي، بل يرجّح ما ينسجم مع نظم الآيات القرآنية وسياق الخطاب، ويبتعد عن التكلُّف في حمل الألفاظ على معانٍ لا يسندها ظاهر الكلام.

ثانيًا: أثر السياق في كشف دلالة التقديم والتأخير:

تقديم اللفظة القرآنية أو تأخيرها عن موضعها له سر معنوي من غير شك، وتعد دلالة السياق من أبرز الدلائل التي تُساعد في كشف هذا السر، لذا اعتمد عليها الشيخ عبد القادر بن ملا حويش كثيرًا في تفسيره، ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك:

١. عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[٣]، يقول الشيخ: "قدّم الله تعالى حق الوالدين لأنهما الأصل، ثم عقبهما بالفروع المحارم، لأن الإنفاق عليهم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب صلة وصدقة وتسمية هذا الإتيان من قبل الله حقا يشعر بإلزام القريب الموسر الإنفاق على قربيه المعسر العاجز على طريق الوجوب، وهذا الحكم الشرعي في ذلك"[٤].

فيظهر من تفسير الشيخ للآية حرصه على السياق القرآني العام في القرآن الكريم، حيث تأتي الآية الكريمة بعد ذكر الحث على البر والحق، فاختيار تقديم الوالدين قبل الفروع والمحارم ليس عشوائيًا، بل تدرج منطقي يراعي الأصل (الوالدين) ثم الفروع (المحارم والأقارب)، بما يعكس سلم المسؤوليات والواجبات.

وبذلك، فإن تفسير الشيخ يتلاءم مع سياق ونظم الآية، إذ إن الإلزام الشرعي قائم على قاعدة ترتيب الحقوق في الخطاب القرآني، فلا يُقدّم فرع على أصل، ولا يُلزم إلا ما ثبت في السياق والنظم.

٢.في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ ﴾[٥]، يقول الشيخ عبد القادر: "وان الله جل جلاله قدم الزرع لأنه غذاء وهو مقدم على الفواكه ثم النخل على الفواكه، لأن ثمره يجري مجرى الغذاء

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٦.

(٢) بيان المعاني: ٢/ ٥٠٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٦

(٤) بيان المعاني: ٢/ ٤٧٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

مع كونه فاكهة وفيه من المنافع ما ليس في غيره وعقبه بالعنب لأنه من أشرف الفواكه، ثم الزيتون لبركته وزيادة الحاجة إليه أكلا وأدما، ثم الرمان لأنه فاكهة ودواء، وقد ذكر الله تعالى في القرآن العظيم أمهات الفواكه كهذه والتين والموز وأشار إلى البقية بلفظ الفاكهة، كما أشار إلى بقية النبات بلفظ الأب فلم يخرج عن هاتين اللفظتين شيء مما ينبت بالأرض، فسبحان من أودع في كتابه كل شيء"(١).

فتفسير الشيخ عبد القادر للآية الكريمة يظهر التدبّر في السياق القرآني، فاختيار ترتيب ذكر الثمرات في القرآن الكريم مبني على الأهمية الغذائية والفوائد المتنوعة، مع الجمع بين التفصيل في بعض الأنواع والإجمال في البقية، ما يعكس حكمة البلاغة القرآنية وعمق الدلالة في الإحاطة بالنعم.

٣. في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾(٢)، يقول الشيخ عبد القادر: " إنما قدم منفعة اللباس على منفعة الأكل لأنها أكثر وأعظم من منفعة الأكل إذ قد يكون من غيرها من الحيوان"(٣).

يتضح من كلام الشيخ عبد القادر فهمه العميق لسياق القرآن الكريم، حيث قدم الله تعالى منفعة اللباس على الأكل في الآية، لأن اللباس أهم وأبقى في حياة الإنسان، فهو يحفظ الجسد ويصون كرامته، بينما الأكل يأتي من مصادر متنوعة ويمثل حاجة مؤقتة، هذا التقديم يتماشى مع سياق الآية التي تُبرز النعم التي أنعم بها الله على البشرية، مما يعكس حكمة الترتيب التي تراعي أولويات الإنسان الأساسية.

٤. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾(٤)، يقول الشيخ: "قدم السّمع على البصر لأنه أفضل منه، لأن الأعمى يمكن التفاهم معه بخلاف الأطرش(٥).

فالتقديم بين السمع والبصر في الآية يظهر حكمة التفضيل في ترتيب النعم، كما أشار الشيخ عبد القادر، فبما أن السمع يتيح للإنسان التواصل والتفاعل مع الآخرين، حتى وإن كان فاقدًا للبصر، فإنه يكون في كثير من الحالات أكثر أهمية من البصر، وهذا التقديم ينسجم مع السياق القرآني الذي يعكس أولوية الحواس التي تسهم في تيسير الحياة الاجتماعية والعملية للإنسان، مما يبرز قيمة النعم في حياة الفرد.

وأخيرًا وليس آخرًا، ومن التطبيقات المذكورة آنفًا، يتضح جليًا اهتمام الشيخ عبد القادر بن ملا حويش العميق بفهم سياق القرآن وتوظيفه في تفسيره (بيان المعاني)، إذ يربط بين الترتيب البلاغي للآيات وبين الحكمة الإلهية في عرض النعم والأحكام، لذا، يولي الشيخ عبد القادر اهتمامًا خاصًا لتوضيح كيفية أن السياق ليس مجرد إطار لغوي، بل هو أداة أساسية لفهم المعاني العميقة وتوجيه المتلقي نحو الفهم الصحيح للقرآن.

وفي الختام هذا ما تيسر إيراده وتهيأ إعداده، وأعان الله على قوله، في أثر السياق عند الشيخ عبد القادر بن ملا حويش.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) بيان المعاني: ٣/ ٣٨٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥.

(٣) بيان المعاني: ٤/ ٢١١.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٢.

(٥) بيان المعاني: ٦/ ٦٨.

٤.الخاتمة

الحمد لله على ما منَّ به عليَّ في إتمام هذا البحث وإكماله، وذلك بعد رحلة ممتعة في تفسير (بيان المعاني)، وجنيت فيها أطيب الثمار، وخلصت إلى جملةٍ من النتائجِ والتوصيات، أذكر أبرزها فيما يأتي:

أولًا: النتائج:

١. انتهينا في المبحث الأول إلى التعريف بالسياق وبيان مظاهر عناية العلماء فيه وكذلك ابراز شيئًا من الحياة الشخصية للشيخ عبد القادر بن ملا حويش.

٢. قدّم الشيخ عبد القادر بن ملا حويش تفسيرا شاملا ودقيقا للقرآن الكريم، واعتمد على الفهم العميق لتدخل الآيات والسور، مما جعل ذلك تفسيره (بيان المعاني) يتسم بالمنطقية والدقة.

٣. يعد الشيخ عبد القادر بن ملا حويش من أبرز العلماء المعاصرين الذين اعتمدوا على السياق القرآني في تفسيره، وقد ضمّن ذلك في أمور كثيرة أبرزها: أثره في إظهار المناسبة بين آيات القرآن الكريم، وأثره في توجيه القراءات القرآنية، وأثره في ترجيح أسباب النزول، وأثره في توجيه المتشابه اللفظي، وأثره فيما يتعلق بالنواحي اللغوية والبلاغية.

ثانيًا: التوصيات:

أذكر بعض التوصيات في نهاية هذه الورقة البحثية عسى أن تجد آذانًا صاغية، فيستفيد منها أصحاب التخصص، وتكون عونًا لهم في مجال التفسير وعلوم القرآن، ومن أبرز التوصيات التي نذكرها:

١. توصي الدراسة بمزيد البحث في موضوع أثر السياق القرآني عند المفسرين فلا زال مجال البحث فيه رحبًا.

٢. توصي الدراسة بضرورة عمل ندوات و ورش عمل تهتم بالحديث عن أثر السياق القرآني عند المفسرين في ضوء ما كتبوه، لبيان استعمالهم وعنايتهم به.

٣. ضرورة تشجيع الأبحاث ذات الصلة بالسياق القرآني تقعيدًا وتأصيلًا.

ثم الحمد الذي أعانني ويسّر لي هذا البحث المتواضع، والله أسأل أن يعفو ما جاء فيه سهوٍ أو زللٍ، وعلى الله قصد السبيل.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٢. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

٣. بيان المعاني بيان المعاني: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي –دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م.

٤. تتمة الأعلام للزركلي [وفيات (١٣٩٦ – ١٤١٥ هـ)، يليه المستدرك الأول والثاني]، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ.

٥. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.

٦. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير

القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.
٧. تَكملَة مُعجم المُؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ – ١٤١٥ هـ): محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م.
٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
٩. درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
١٠. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى (عليه السلام): فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٦ه– ٢٠٠٥م.
١١. الفوز الكبير في أصول التفسير: أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦هـ) عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، دار الصحوة – القاهرة، الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.
١٢. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
١٣. القراءات واثرها في التفسير والاحكام: محمد بن عمر بن سالم ابن بازمول، دار الهجرة، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ه– ١٩٩٦م.
١٤. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٥. اللؤلؤ المنضود في نسب السيد محمود: السيد الحاج سعد السيد عبد اللطيف السيد حسين آل غازي، تحقيق: السيد محمود السيد سعيد السيد اللطيف آل غازي الرفاعي الموسوي الحسيني، دار المطبوعات للنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٣م.
١٦. مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٧. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.
١٨. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.
١٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٢٠. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.
٢١. معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٢٢. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
٢٣. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٤. منجد المقرئين ومرشد الطالبين: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م.

٢٥. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»: جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.

References and Bibliography

The Holy Qur'an

1. Al-Iḥsān fī Taqrīb Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān: Muḥammad ibn Ḥibbān ibn Aḥmad ibn Ḥibbān ibn Maʿādh ibn Maʿbad al-Tamīmī, Abū Ḥātim al-Dārimī al-Bustī (d. 354 AH), edited and annotated by Shuʿayb al-Arnaʾūṭ, Muʾassasat al-Risālah, Beirut, 1st ed., 1408 AH / 1988 CE.
2. Al-Burhān fī ʿUlūm al-Qurʾān: Abū ʿAbd Allāh Badr al-Dīn Muḥammad ibn ʿAbd Allāh ibn Bahādir al-Zarkashī (d. 794 AH), edited by Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār Iḥyāʾ al-Kutub al-ʿArabiyyah ʿĪsā al-Bābī al-Ḥalabī & Co., 1st ed., 1376 AH / 1957 CE.
3. Bayān al-Maʿānī: ʿAbd al-Qādir ibn Mullā Ḥuwayyish al-Sayyid Maḥmūd Āl Ghāzī al-ʿĀnī (d. 1398 AH), Maṭbaʿat al-Taraqqī, Damascus, 1st ed., 1382 AH / 1965 CE.
4. Tatimmat al-Aʿlām lil-Ziriklī (Obituaries 1396–1415 AH with Addenda): Muḥammad Khayr Ramaḍān Yūsuf, Dār Ibn Ḥazm, Beirut, 2nd ed., 1422 AH.
5. Al-Tashīl li-ʿUlūm al-Tanzīl: Abū al-Qāsim Muḥammad ibn Aḥmad ibn Muḥammad ibn ʿAbd Allāh Ibn Juzayy al-Kalbī al-Gharnāṭī (d. 741 AH), edited by Dr. ʿAbd Allāh al-Khālidī, Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam, Beirut, 1st ed., 1416 AH.
6. Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm: Abū al-Fidāʾ Ismāʿīl ibn ʿUmar ibn Kathīr al-Qurashī al-Baṣrī al-Dimashqī (d. 774 AH), edited by Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut, 1st ed., 1419 AH.
7. Takmilat Muʿjam al-Muʾallifīn (Obituaries 1397–1415 AH): Muḥammad Khayr Ramaḍān Yūsuf, Dār Ibn Ḥazm, Beirut, 1st ed., 1418 AH / 1997 CE.
8. Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʾwīl Āy al-Qurʾān: Muḥammad ibn Jarīr ibn Yazīd ibn Kathīr ibn Ghālib al-Āmulī, Abū Jaʿfar al-Ṭabarī (d. 310 AH), edited by Dr. ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-Muḥsin al-Turkī, Dār Hijr, Riyadh, 1st ed., 1422 AH / 2001 CE.
9. Durrat al-Tanzīl wa Ghurrat al-Taʾwīl: Abū ʿAbd Allāh Muḥammad ibn ʿAbd Allāh al-Aṣfahānī (al-Khaṭīb al-Iskāfī) (d. 420 AH), edited by Dr. Muḥammad Muṣṭafā Āydīn, Umm al-Qurā University, 1st ed., 1422 AH / 2001 CE.
10. The Effect of Contextual Meaning in Directing Verbal Ambiguity in the Story of Moses (peace be upon him): Fahd ibn Shutwaywī ibn ʿAbd al-Muʿīn al-Shutwaywī, MA thesis, College of Daʿwah and Fundamentals of Religion, Umm al-Qurā University, Makkah, 1426 AH / 2005 CE.
11. Al-Fawz al-Kabīr fī Uṣūl al-Tafsīr: Aḥmad ibn ʿAbd al-Raḥīm (known as Walī Allāh al-Dihlawī) (d. 1176 AH), translated from Persian by Salman al-Ḥusaynī al-Nadwī, Dār al-Ṣaḥwah, Cairo, 2nd ed., 1407 AH / 1986 CE.
12. Al-Qāmūs al-Muḥīṭ: Majd al-Dīn Abū Ṭāhir Muḥammad ibn Yaʿqūb al-Fīrūzābādī (d. 817 AH), edited by the

al-Shāfī Muḥammad, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut, 1st ed., 1422 AH.

20. Muʿjam al-Buldān: Shihāb al-Dīn Abū ʿAbd Allāh Yāqūt ibn ʿAbd Allāh al-Rūmī al-Ḥamawī (d. 626 AH), Dār Ṣādir, Beirut, 2nd ed., 1995 CE.
21. Muʿjam al-Lughah al-ʿArabiyyah al-Muʿāṣirah: Dr. Aḥmad Mukhtār ʿAbd al-Ḥamīd ʿUmar (d. 1424 AH), with a team of researchers, ʿĀlam al-Kutub, 1st ed., 1429 AH / 2008 CE.
22. Al-Muʿjam al-Wasīṭ: Arabic Language Academy, Cairo (Ibrāhīm Muṣṭafā, Aḥmad al-Zayyāt, Ḥāmid ʿAbd al-Qādir, Muḥammad al-Najjār), Dār al-Daʿwah.
23. Muʿjam Maqāyīs al-Lughah: Aḥmad ibn Fāris ibn Zakariyyā al-Qazwīnī al-Rāzī, Abū al-Ḥusayn (d. 395 AH), edited by ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Fikr, 1399 AH / 1979 CE.
24. Manjid al-Muqriʾīn wa Murshid al-Ṭālibīn: Shams al-Dīn Abū al-Khayr Ibn al-Jazarī, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Yūsuf (d. 833 AH), Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st ed., 1420 AH / 1999 CE.
25. The Simplified Encyclopedia of the Scholars of Tafsīr, Qurʾānic Recitation, Grammar, and Language (from the 1st century to contemporary scholars with a study of their doctrines and anecdotes): Compiled and prepared by Walīd ibn Aḥmad al-Ḥusayn al-Zubayrī, Iyād ibn ʿAbd al-Laṭīf al-Qaysī, Muṣṭafā ibn Qaḥṭān al-Ḥabīb, Bashīr ibn Jawād al-Qaysī, ʿImād ibn Muḥammad al-Baghdādī, Al-Ḥikmah Journal, Manchester – UK, 1st ed., 1424 AH / 2003 CE.

Heritage Investigation Office at Muʾassasat al-Risālah, supervised by Muḥammad Naʿīm al-ʿAraqsūsī, Muʾassasat al-Risālah, Beirut, 8th ed., 1426 AH / 2005 CE.

13. Qirāʾāt and Their Impact on Tafsīr and Legal Rulings: Muḥammad ibn ʿUmar ibn Sālim Ibn Bāzmūl, Dār al-Hijrah, Saudi Arabia, 1st ed., 1417 AH / 1996 CE.
14. Al-Kulliyyāt: A Dictionary of Terminology and Linguistic Differences: Ayyūb ibn Mūsā al-Ḥusaynī al-Quraymī al-Kafawī, Abū al-Baqāʾ al-Ḥanafī (d. 1094 AH), edited by ʿAdnān Darwīsh and Muḥammad al-Miṣrī, Muʾassasat al-Risālah, Beirut.
15. Al-Luʾluʾ al-Manḍūd fī Nasab al-Sayyid Maḥmūd: Al-Sayyid al-Ḥājj Saʿd al-Sayyid ʿAbd al-Laṭīf al-Sayyid Ḥusayn Āl Ghāzī, edited by Al-Sayyid Maḥmūd al-Sayyid Saʿīd al-Sayyid al-Laṭīf Āl Ghāzī al-Rifāʿī al-Mūsawī al-Ḥusaynī, Dār al-Maṭbūʿāt, Beirut, 1st ed., 2013 CE.
16. Mabāḥith fī al-Tafsīr al-Mawḍūʿī: Muṣṭafā Muslim, Dār al-Qalam, 4th ed., 1426 AH / 2005 CE.
17. Mabāḥith fī ʿUlūm al-Qurʾān: Mannāʿ ibn Khalīl al-Qaṭṭān (d. 1420 AH), Maktabat al-Maʿārif, 3rd ed., 1421 AH / 2000 CE.
18. Al-Muḥtasib fī Tabyīn Wujūh al-Qirāʾāt al-Shādhdhah wa al-Īḍāḥ ʿAnhā: Abū al-Fatḥ ʿUthmān ibn Jinnī al-Mawṣilī (d. 392 AH), Ministry of Endowments – Supreme Council for Islamic Affairs, 1420 AH / 1999 CE.
19. Al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʿAzīz: Abū Muḥammad ʿAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib ibn ʿAbd al-Raḥmān Ibn ʿAṭiyyah al-Andalusī al-Muḥāribī (d. 542 AH), edited by ʿAbd al-Salām ʿAbd